

الخطابات الأدبية الجدارية في منطقة جيجل -تحليل نماذج-

Mural literary discourses in the Jijel region -Analysis of models-

1 ط د / بسمة رضا*

حسيبة بن بوعلي -الشلف(الجزائر) b.rida@univ-chlef.dz

2 أ د / إسماعيل زغودة

حسيبة بن بوعلي -الشلف(الجزائر)، aboufirass84@gmail.com

مخبر تعليمية اللغات وتحليل الخطاب

تاريخ الارسال 2024-10-12 تاريخ القبول 2024-10-21 تاريخ النشر 2024/11/01

الملخص:

تمثل الخطابات الأدبية الجدارية اليوم طرحا بالغ الأهمية وجانبا بارزا من جوانب الممارسات الاجتماعية، ذلك كونها تعد مرآة عاكسة للحمولة الثقافية للعديد من الأمم والحضارات والمجتمعات. والجزائر على غرار كل الأقطار العربية والعالمية، تزخر بهذا الفن الذي مثل واجهة لأفكار وعادات وحياة شعوبها، ومنطقة "جيجل" لم تكن بمعزل عن هذا الفن الذي وجد قبولا وترحيبا من فئة الشباب تحديدا، الذين عملوا من خلال تبنيهم له على كسر حواجز كثيرة وتقديم أجوبة للتساؤلات العديدة. الكلمات المفتاحية: كتابات جدارية، فن، خطابات أدبية

ABSTRACT

Literary mural discourses today represent a very important and prominent aspect of social practices, as they are a reflective mirror of the cultural load of many nations, civilizations and societies.

and Algeria, like all Arab and international countries, abounds in this art, which represented a facade for the ideas, customs and life of its peoples, and the "Jijel" region was not isolated from this art, which found acceptance and welcome from the youth group in particular, who worked through adopting it to break down many barriers and provide answers to many questions.

Key words: Graffiti, Art, Literary speeches

أولا: في مفهوم ونشأة الكتابات الجدارية:

الكتابات الجدارية أو فن الجرافيتي Graffiti معجميا هي كلمة تعني "نحت، تسوية و صياغة على شكل ما"¹ ونجدها متعددة التسميات و الاستعمالات ، مثلا في "الإغريقية نجد كلمة Graphein التي تعني: يكتب، يرسم، و يلون، أما في اللاتينية فأصلها يعود لمفردة Graphium، و تعني: يخربش ، يخدش و يكشط، في حين نجدها في اللغة الإيطالية مشتقة من كلمة Sraffito، و تعني يخدش و يخربش، تطور اشتقاقها ل Graffito مفردة كلمة Graffiti و معناه كتب و خدش أو خمش أو حك سطحا"² فتكون بذلك هذه الكلمة تدور في حقل الخربشة و الرسم و الكتابة .

و "جرافيتي" هو مصطلح عرب من Graff و الذي يعني بدوره الخربشة و الرسم و الكتابة على الجدران ، عن طريق اعتماد رموز و إشارات خاصة بمستخدميها، من أجل تحقيق هدف هو إيصال رسالة أو التعبير عن شيء ما.

أما عربيا فإننا "لا نكاد نجد هذا المصطلح جرافيتي/ جرافيتيا أو جرافيتي في أي من المعاجم العربية بشتى أنواعها، إلا أننا نجده يقترب من ذلك المعنى من لفظة خربشة و خرباش بمعنى إفساد العمل، و قد عربها الدكتور خليل أحمد خليل بمصطلح الكتابة على الجدران، بينما اكتفى الباحث أحمد شراك بتعريبه لجرافيتيا نسبة إلى Graffiti"³، و يطلق عليها كذلك ب"الكتابة على الجدران" و هو بصفة عامة الخربشات والكتابات التي تكتب و ترسم على الجدران من جهة، و من جهة أخرى يطلق عليها مصطلح "فن الشارع" الذي "قدمه ألن شوارتسمان في عام 1985 من و استخدمه للإشارة إلى كافة أشكال التعبير الفني في المناطق الحضرية و التي ولدت من ثورة الجرافيتي، و تحمل قيما جمالية فنية و أساليب مختلفة تماما عما كان سائدا في السبعينات والثمانينات في فن الجرافيتي في نيويورك"⁴، و هذه القيم الجمالية الفنية التي يحملها هذا الفن تكون مرآة عاكسة لحمولات اجتماعية و ثقافية لتلك المناطق، عن طريق أساليب متعددة و متنوعة.

جدير بالذكر أن تاريخ ظهور هذا الفن يعود إلى فترة عصور ما قبل الميلاد، هي الفترة التي كان الانسان فيها ينقش في الكهوف و على الصخور و يرسم عليها معبرا بذلك عن حياته و يومياته وكل ما يعيشه، يتطور بعد ذلك بفعل عملية الكتابة إلى بعد آخر تمثل في انه اصبح شكلا من أشكال التعبير الحر غير المقيد، مواكبا لروح العصر و كينونة الإنسان و انشغالاته و آرائه و اهتماماته.

وقد كان الغرب سباقا إلى هذا الفن، إذ خلال ستينات القرن الماضي برز في العديد من دول العالم، وعلى وجه التحديد الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، والتي كانت جرافيتيا ماي عام 1968 بفرنسا من أبرزها، والتي تزامنت في ظهورها مع بداية استخدام الجدار كلوحة يرسم عليها المعارضون شعاراتهم معبرين عن رفضهم لما هو سائد من أوضاع واحتجاجهم على السياسات المتبعة من جهة أخرى، وقد تجسدت هذه المعطيات بشكل لافت مع مظاهرات الطلبة.

وتختلف الآراء وتتعدد حول بدايات الممارسة الفعلية لفن الجرافيتي، إلا أن الرأي السائد حول هذا الشأن هو أنه هنالك ممارسات برزت بشكل جلي في نهاية السبعينات وبداية الثمانينات في نيويورك مع مجموعة من الأفارقة رسموا وكتبوا على الجدران ما يتعرضون له من العنصرية والفقر، لتعرف ظاهرة الكتابات الجدارية في سنة 1981م في إنجلترا تليها فرنسا ثم انتشرت في المدن الأوروبية وسويسرا تحت اسم street-art. ليلقى هذا الفن فيما بعد اهتماما بالغا من طرف الإعلاميين والفنانين وحتى المحللين النفسانيين ذلك لاعتقادهم أن هذا الفن يحمل بين شحنات نفسية خاصة بالفئة المبنية له وهي فئة الشباب. في العالم العربي، كان الجرافيتي يتميز بأفق آخر بعيدا نوعا ما عن رؤية الغرب له، إذ اكتسب خصوصية تمثلت في أنه لم يكن مجرد "فن الشارع" أو "أداة للتعبير عن الواقع" أو فنا جميلا بل هو فن المقاومة والتمرد والرفض والنضال والثورة فعرف بـ "الجرافيتي النضالي". إن هذه الصبغة التي ميزت بها الكتابات الجدارية أو الجرافيتي في العالم العربي تولدت بفعل الاستعمار وما رافقه من عنف وتدمير واستغلال كانت مناطق هذا القطر قد تعرضت لهم، ليكون بذلك ملاذا للثورة والاحتجاج والرفض والمعارضة.

ثانيا: عوامل ظهور الكتابات الجدارية:

تعدت عوامل ظهور فن الجرافيتي أو الكتابات الجدارية، بين ماهو اجتماعي ونفسي وثقافي وسياسي، إذ شكلت بتلاحمها أرضية خصبة لظهور هذا الفن:

*العوامل الاجتماعية: الكتابات الجدارية قبل كل شيء هي ظاهرة من الظواهر الاجتماعية التي تعكس الطابع الخاص بالمجتمعات والمميز لها، من عادات وتقاليد وأفكار وثقافات، كما أنها تعبر عن توجهات وتطلعات أفراد هذه المجتمعات.

*العوامل النفسية: تجدر الإشارة إلى أن هذه الظاهرة حاملة لمكونات نفسية وشحنات عاطفية وطاقات تعبيرية مكثفة، خاصة وأن الفئة التي تقوم بهذه الممارسة نسبة كبيرة هي فئة الشباب والمراهقين، إذ تجسد الكتابات الجدارية كل ما يعيشونه من صراعات داخلية ومشاعر مختلفة، مقدمة لهم متنفسا وملاذا يجدون من خلاله مخرجا لأنفسهم من هذه الطاقات والمشاعر السلبية، لذلك فقد شكلت العوامل النفسية عاملا أساسيا من عوامل ظهور الكتابات الجدارية.

*العوامل السياسية: ساهمت هذه العوامل في بروز هذا الفن في مختلف بلدان العالم خاصة البلدان العربية إذ نجد أن الكتابات الجدارية كانت حاملة لرموز سياسية تنوعت بين البحث عن الحرية من جهة والرفض للسلطة والاتجاهات السياسية والاستعمار من جهة أخرى.

*العوامل الثقافية: تمثل الكتابات الجدارية لونا من ألوان الحمولات والانتاجات الثقافية، إذ تجسد كل المعطيات الثقافية السائدة في مجتمع من المجتمعات والتي تشكل العادات والتقاليد والأعراف والتصورات والقيم أحد

أوجهها، و هذه المعطيات بدورها عملت على بلورة الحمولة الثقافية للكتابات الجدارية لأي حضارة من الحضارات أو أي مجتمع من المجتمعات في نشأتها و ظهورها.

ثالثا: تمثلات الخطابات الأدبية الجدارية في منطقة جيجل:

تعد منطقة جيجل من بين المناطق الجزائرية التي اهتم شبابها بهذا الفن ، و قد برز الجرافيتي في هذه المنطقة مع مجموعة "كتيبة فن الشارع" و التي تتشكل من ثلاثة أعضاء هم " حسام، عقبة، أمين " الذين عملوا على محاولة التغيير الإيجابي للأوضاع السائدة عن طريق أعمالهم التي اكتسحت شوارع المنطقة ، و التي مثلت فترة "الحراك الشعبي" نقطة إحياء لها، ف"اختار فنانون ولاية جيجل منذ بداية الحراك طريقة حضارية بأبعاد فنية وجمالية تجسدت في جداريات ولوحات سخر لها المواطنون بمدينة جيجل إمكانياتهم لإنجاحها في رسالة مفادها أن الشباب يمكنه أن ينتج ويسهم في الرقي الحضاري حين تتوفر الظروف الملائمة"⁵، إذ تعددت غاياتهم من ذلك و تنوعت أهدافهم فكانت غاية "ترسيخ فكرة التغيير السلمي، وأخرى لإثبات قدرة الشباب على صناعة مستقبله وبناء وطنه فقط بأبسط الإمكانيات لما تتوفر الظروف"⁶ أبرزها.

وفي تعليقهم عن بدايات الكتيبة لهذا الفن في ولاية جيجل، فقد صرح الأعضاء على أنها كانت محتشمة جدا لأن الممارسة كان يغلب عليها طابع الانفرادية، ليتطور الأكر بعد ذلك بع الاستحسان والقبول الذي حظيت به الكتابات الجدارية نظرا لما تحمله من رسائل ودلالات معبرة وعاكسة للواقع المعيش من طرف أفراد المجتمع من جهة والسلطات من جهة أخرى.

تجدر الإشارة إلى أن أعضاء هذه الكتيبة لم يكونوا الوحيدين الذين رأوا في هذا الفن متنفسهم في التعبير عن مكنوناتهم وخلقاتهم وتبنيه من أجل إحداث التغيير الإيجابي، بل برز أيضا شبان ذوي مواهب متميزة أبرزهم الشاب "حسام الدين بوجنانة" والفنان "رياض زعيمين" وغيرهم ذاع صيتهم وصولا إلى العالمية.

لقد تنوعت دلالات هذا الفن في منطقة جيجل بين دلالات تربوية وثورية واجتماعية ودينية وسياسية وحتى دلالات ثقافية، وقد تجسدت بشكل كبير على مستوى الخطابات الأدبية الجدارية والتي بدورها مثلت نوعا من أنواع هذه الكتابات الجدارية.

وفيما يلي سنقوم بعرض عدة خطابات أدبية جدارية تلونت بها شوارع هذه المنطقة، وتناولها بالتحليل لاستخراج دلالاتها.



الصورة 1

تمثل الصورة الآية الأولى من سورة العلق، لما للعلم من أهمية بالغة في بناء المجتمعات و تشييدها ، و قد استندت "كتيبة فن الشارع" على القرآن الكريم من خلال هذه الآية الكريمة الحاملة لدلالات دينية و تربوية تحث على طلب العلم و التعلم، بالإضافة إلى اعتماد رموز معبرة كالريشة والحبر و الكتاب و الشمعة ، التي بتلاحمها تشكل لنا صورة جلية أن الكتابة و القراءة (المطالعة) و المعارف المكتسبة من خلال هذه القراءة للكتب ستثير طريق العلم الذي يحاول المتعلم فهمه، و ما يلاحظ كذلك وجود نوع من الزخرفة و هي في مدلولها العام تعبر عن التراث العربي الإسلامي.

فالاستناد إلى النص القرآني و التراث العربي الإسلامي في هذا الخطاب الأدبي الجداري أكسبه نوعا من التميز و التفرد والخصوصية.



الصورة 2

يمكن القول عن هذه الصورة أنها مكملية للصورة الأولى من حيث تحديد الغاية والهدف المرجو من العلم، إذ تتضمن بيتا شعريا للإمام " علي رضي الله عنه " من قصيدته التي يقول في مطلعها:

أبوهم آدم والأم حواء	الناس من جهة التمثال أكفاء
يفاخرون به فالطين والماء	فإن يكن لهم في أصلهم شرف
على الهدى لمن استهدى أدلاء	ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم



الصورة 3

القوة لا تكون فقط لذوي السلطة و الجاه و المناصب العليا، بل تكون أيضا لأهل العلم، الصورة تجسد حكمة بالغة الأهمية منسوبة لـ "الشيخ البشير الإبراهيمي" ترمز إلى أن ميزان القوة تغلب فيه كفة أصحاب العلم والمعرفة، وليس القوة وحدها، وهذه الجدارية من إنجاز الفنان المعروف بـ "paezsco" و الفنان "رياض زعيمين" من ولاية جيجل .



الصورة 4

غريزة الشعب الجزائري عامة و الجيجلي خاصة، غريزة قوية حول التضحية في سبيل الوطن، هذا ما تؤكد هذه الجدارية بما تحويه من معالم تراثية من زخرفات و رموز يمثل العلم الجزائري أبرز وجوهها. اما الوحدة الوطنية، المقاومة من أجل تماسك الشمل، والعزم على حرية الجزائر، كانت كلها عناوين هذه اللوحة الجدارية التي تفنن أعضاء الكتبية في رسمها وخطها، وهي مستوحاة من النشيد الوطني الجزائري للتأكيد وإبلاغ رسالة مفادها أن الشعب الجزائري لم ولن يتخلى عن آماله وأهدافه في بقاء الجزائر دولة موحدة و متماسكة، يجسد هذا التماسك والترابط القوي تلاحم شعبها على اختلافهم.



الصورة 5

شكل موضوع الحرية محورا هاما و بارزا من محاور فترة حرجة مرت بها الجزائر و هي فترة "الحراك الشعبي" التي قدمت صورة مغايرة لتوقعات الآخر الذي رسم لوحة عن بدائية الشعب الجزائري في مثل هذه المواقف الحاسمة، فالمظاهرات السلمية التي قام بها خاصة الشعب الجيجلي أبرزت نوعا من الوعي الكبير بهذه القضية، و أن الحرية هي معطى هام و ضروري لا بد منه للشعب حتى و إن كان في كنف السلطة.

هذا و تجلى ذلك من خلال الجدارية التي تمثلها الصورة رقم 6 لأنها حق مشروع لا بد منه، و تخلص العلم الجزائري داخل قلب هذه الجدارية رمزا عن مدى حب و تعلق الشعب الجيجلي بوطنه ، إلا أن هذا التعلق يكون مرتبطا بالحرية التي ينالها الشعب فيه

و جدير بالذكر أن الحرية لا تعني فقط معارضة السياسات المنتهجة في تلك الفترة، بل تعني أيضا حرية التفكير و التعبير عن الرأي و هذا ما برز بشكل كبير من خلال المظاهرات السلمية التي اجتاحت شوارع مدينة جيجل في "الفوبور" و "تاسوست" و "كتامة" و "قاوس" و العديد من المناطق.



الصورة 6

هذا، و لم تكن القضية الفلسطينية بعيدة عن هذا الفن في منطقة جيجل، بل كانت حاضرة بقوة من خلال كتابات جدارية عمد الأعضاء على ترسيخ فكرة مفادها أن الجزائر سابقا و اليوم و غدا مع القضية الفلسطينية ، و يتضح ذلك من خلال الصورة 8 الحاملة للعلم الفلسطيني و شعار "الجزائر مع فلسطين ظالمة أو مظلومة" للدلالة على أن الجزائر مزالت مناصرة للقضية الفلسطينية و لن تتخلى عنها كون الجزائر جزء لا يتجزأ من فلسطين، وقد برز ذلك من خلال تداخل علم الجزائر بشكل مصغر مع علم فلسطين .من الرموز البالغة الأهمية في هذه الجدارية هو رمز "الملثم" و الذي اشتهر في الآونة الأخيرة في وسائل الإعلام بدفاعه عن وطنه فلسطين إذ برز ذلك من خلال الثورة التي حملت وسم " طوفان الأقصى " في الأشهر السابقة، و هذا للدلالة على الوعي الكبير بهذه القضية وأنها ليست قضية خاصة بالفلسطينيين وخدمهم بل هي قضية تخص أيضا الشعب الجزائري الذي يقدر رابط الأخوة الذي يجمعهم بهم.

هذا و قد لقات هذه الجدارية استحسانا كبيرا من طرف الشعب الجيجلي لأنها لم تعبر عن رأي شخصي فحسب، بل عبرت عن رأي جمعي مختزن في ذاكرة جمعية مرتبطة أشد الارتباط بهذه القضية.



الصورة 8

إن هذا العمل الفني كان بمثابة رد للجميل لمجموعة من الفنانين الفلسطينيين الذين قاموا بعمل غرافيتي أهوه للمنتخب الجزائري خلال مونديال 2014 و تمثله الصورة رقم 9، إذ جسدوا من خلال هذا الرد موقف المحبة و الوفاق الأخوي أولاً، و موقف الشعب الجزائري من القضية الفلسطينية ثانياً



الصورة 9

من جهة أخرى، تناولت الكتابات الجدارية في منطقة جيجل موضوع الهجرة غير الشرعية أو ما يعرف ب "الحرقة" نظرا لكونها من الظواهر المنتشرة في الآونة الأخيرة بكثرة، و هي تمثل محط اهتمام الشباب الذين يرون أن الحياة الكريمة و الجيدة تنتظرهم وراء البحر ، هذا وقد عبرت "كتيبة فن الشارع" عن هذا الطرح من خلال أعمالهم كما هو موضح في الصورة 9 "اسمحي لي والدة" أي "سامحيني والدي" و هو طلب السماح و الغفران من الأم التي لم يشأ الابن التخلي عنها و تركها، لكن الأوضاع التي يعيشها الشباب من بطالة و قمع للمواهب - بحسب الكتيب- هي التي تدفعهم للتخلي عن كل شيء و السير في طريق الهجرة غير الشرعية.



الصورة 9

كان هذا الفن بمثابة باب يمنح الشباب أريحية في التعليق و الرفض و الثورة و إبداء الرأي و يبرز ذلك من خلال تعليقاتهم على الأوضاع السائدة في البلاد خلال فترة الحراك مستخدمين عبارة "في بلادنا العجب"، و هي عبارة حاملة لكل شحنات القمت و التعجب من تلك الأوضاع التي لم يجدوا لها حججا منطقية في تفاقمها.



الصورة 10

كانت جدارية الجوكر في جيحل من أبرز تمثيلات هذا الفن في المنطقة ، ليس لأن رسوماتها مستوحاة من شخصيات فيلم قصته مشهورة عالميا، بل لأنها حملت بين طياتها رسالة مرتبطة أشد الارتباط بالواقع المعيش جسدتها عبارة كلنا مغفلون باللغة الإنجليزية، يقول منجز هذه الجدارية "حسام بوجنانة" على صفحته في مواقع التواصل الاجتماعي حول هذا الشأن : "لو عملنا إسقاطا لأحداث الفيلم على الواقع فسنجد أن فئة كبيرة من الكادحين المظلومين في مجتمعنا خرجت للحراك الشعبي و ثارت ضد أولئك الذين استحوذوا على المال و السلطة

حتى أنه هناك من وصفهم بـ "المغفلين" ، لكن هؤلاء الثوار واصلوا و التحقت بمرور الأسابيع حشود كبيرة ، و جميعهم كانوا تحت شعار "كلنا مغفلون" تماما كما حدث في فيلم الجوكر لما خرج الفقراء في ثورة ضد المستحوزين على المال و السلطة تحت شعار كلنا مهرجون بعدما وصفهم توماس الثري بهذا الوصف " ليكون بذلك هذا الشعار كرد فعل على ما تعرض له الشعب من استحقار و استغلال من طرف متمقي السلطة، ليخرج الشعب رافضين لفكرة الاستغلال و النظر إليهم بدونية و استحقار و كأنه شعب لا حقوق له سوى البقاء في القاع، وهو يشبه تماما أسباب و دوافع الحراك في الجزائر .



الصورة 11

إن الحديث عن القيم التي رسخها هذا الفن في نفوس شباب منطقة جيجل لا بد منه ، فتحت شعار "اصنع الفن و ليس الحرب" . و التي كتبت باللغة الإنجليزية Make Art Not War تم الإفصاح عن مدى الوعي الكبير بمشروعية هذا الفن (الجرافيتي) كمحاولة فنية من أجل التغيير فالفن لا يكون ولا يجب أن يكون من أجل الحرب أو أن يكون وسيلة من وسائلها، لأن هذا يلطخ الفن عامة و الجرافيتي بصفة خاصة باعتباره ورقة رابحة في إجدات التغيير المرجو.



الصورتين 11 و 12

خاتمة:

إن فن الغرافيتي أو الكتابات الجدارية اليوم تشكل لونا من ألوان الفن العالمي المعبر و المنفرد بخصائصه المتميزة، و منطقة جيغل من بين المناطق التي استحوذ على شوارعها من خلال شباب وجدوا فيه متنفسا للتعبير و إبداء الرأي ، فجاءت أعمالهم متنوعة و متعددة الدلالات بين ما هو اجتماعي و بين ما هو تربوي و بين ما هو سياسي و ثقافي ، ليكون هذا الأخير بمثابة واجهة عاكسة لتوجهات و تصورات أفراد المجتمع الجزائري بعامه و الجيلالي بصفة خاصة.

قائمة المصادر والمراجع:

قاموس المعاني -فرنسي عربي، عربي فرنسي
 بوعلام باي: فعالية الغرافيتيا النضالية في التعبئة الهوياتية، خلال عهد الاستعمار، الجزائر نموذجاً، مجلة الانسان والمجتمع، العدد8، جامعة تلمسان، جوان 2014.
 عبد العزيز. ب : الشباب الجيلالي يؤرخ للحراك الشعبي برسالة فنية حضارية، مجلة الشروق أونلاين، 14/04/2019.

. هبة حلمي: مقدمة كتاب حوايا شهيد فن شارع الثورة المصرية، دار العين للنشر، القاهرة، 2013
 ملاحظة: تجدر الإشارة إلى أن كل الصور مأخوذة بإذن من صاحبها.

¹ قاموس المعاني -فرنسي عربي، عربي فرنسي

² بوعلام باي: فعالية الغرافيتيا النضالية في التعبئة الهوياتية، خلال عهد الاستعمار، الجزائر نموذجاً، مجلة الانسان والمجتمع، العدد8، جامعة تلمسان، جوان 2014، ص24.

³ المرجع نفسه، ص24

⁴ هبة حلمي: مقدمة كتاب حوايا شهيد فن شارع الثورة المصرية، دار العين للنشر، القاهرة، 2013

⁵ عبد العزيز ب : الشباب الجيلالي يؤرخ للحراك الشعبي برسالة فنية حضارية، 14/04/2019

⁶ عبد العزيز. ب : الشباب الجيلالي يؤرخ للحراك الشعبي برسالة فنية حضارية، 14/04/2019 ، مجلة الشروق أونلاين